

كتاب

النظام الخاص لإهل الإختصاص

للإمام أحمد الرفاعي الكبير

رضي الله عنه

578-512 هجرية

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

في إطار الجهود لتزويد محبي الإمام الرفاعي خاصة ، ومحبي التصوف عامة ، بالمنهج الصحيح لهذا الإمام الكبير، في اتباعه لِسُنَّةِ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وَفَقَّ اللهُ وَأَعَانَ عَلَى تَدْقِيقِ وَإِحْرَاجِ كِتَابِ الْبِرْهَانِ الْمُؤَيَّدِ وَقَمْنَا بِرَفْعِهِ عَلَى الْمَوْقِعِ الْإِلِكْتِرُونِيِّ لِبَيْتِ جَامِعِ الرَّفَاعِيِّ (gamei-rifai.com) ، ونحسب أنه بتوفيق الله وعونه قد صححنا الكثير من الأخطاء المطبعية التي تُخْرِجُ المعنى عن سياقه في بعض المواضع من ذلك الكتاب. وها نحن بتوفيق المولى وعونه أيضاً نقوم بنفس العمل لكتاب "النظام الخاص لإهل الإختصاص" ، وهو يجوي توجيهات عالية من الشيخ ، قُدِّسَ سِرُّهُ ، للخاصة أهل الهمم العالية من أتباعه حتى يصلوا إلى درجة الكمال في رضاء الله ورضوانه.

هذا ومن الواضح أننا حاولنا الإهتمام بإظهار النص كما صدر عن الإمام رضي الله عنه ، فقمنا بالإضافة الى تصحيح الأخطاء بوضع التشكيل على كثير من الكلمات لتسهيل مهمة رواد الموقع ، حتى ينهلوا من هذا النبع الصافي في سهولة ويسر.

ومنهاج الشيخ في هذا الكتاب يقوم على نصح أهل الإختصاص بجمع خيرى الدنيا والآخرة ، وتعظيم شرف الكلمة ومعرفة قدرها ، وأن الإنسان يجب ألا يرى لنفسه فضلا على أبناء جنسه ، وأن يعظم الأشياء لمُوجِدِهَا ، وأن يعرف قدر الأنبياء والمرسلين ، والمكانة العالية لسيد المرسلين ، صلى الله عليه وسلم ، كل هذا في أسلوبٍ راقٍ ، وبلاغةٍ تختلب العقول والألباب ، تجعل الإنسان حائرا في مدى العطاء الذي فتح الله به على هذا الشيخ الجليل، (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ).

يقول الإمام: "كلُّ من ساواك بتركيبِ الهَيْكَلِ ، أو ماثلك بالصورة والنسَقِ ، فهو أخوك بجنسيتك ، شريكك بآدميتك ، لا هو مملوكك ، ولا أنت مالكة ، وكل من خالفك بتركيبك ، فهو مُلْحَقٌ بجنسه حَقْرًا أو عَظْمًا ، وأنت مُلْحَقٌ بجنسك ، فاعرف حَدَّكَ ، ولا تَبْقَ وحدك. حاجتك مُلْزِمَةٌ لك، وحاكمةٌ عليك بالانضمام إلى أبناء جنسك ، والاستئناسِ بهم ، وقاضيةٌ على طبعك بالأدب مع صنوف أجناس الأشياء ، من ذواتِ أرواحٍ وجماداتٍ بارزاتٍ ومطوياتٍ ، علوياتٍ وسُفْلِيَّاتٍ ، فاجمع رأيك على العلم بالله ، لِتَعْلَمَ في مرتبة آدميتك بين جنسك ، ولتَرْكُوَ في نفسك".

ويقول : " والعارفُ المحضُ يستقل الدنيا فلا يراها إلا دون شراك نعله ، ويستعظمُ الأشياءَ لِمُوجِدِهَا فلا يرى إهمالَ شيءٍ ، رداً بذلك الشيءَ إلى أصله".
ويقول : "فلا تستصغر شرف الكلام ، وتهمل مرتبته التي هي أعلى المراتب المتدلية من العُلا ، تدنياً الى العالم الأدنى".

ينصح أهل الإختصاص بالعوالي من السمات والأحوال ، فيقول: "إني أُسْرُّ بأربعة أشياء إذا نزلت بأصحابي ، وأفرح لهم بها ، وأسأل الله تعالى لهم الصبر عليها : الجوع ، والعُرْي ، والذلة ، والمسكنة ، وهذه شعار الفقراء ، ولكن كيف هي لو عرفتم: جوعٌ في شبعٍ ، وعُرْيٌ في اكتساءٍ ، وذِلَّةٌ في عِزَّةٍ ، ومسكنةٌ في مُكْنَةِ ، جائعٌ وضيْفَانُهُ شباغٌ ، عارٍ وقُصَادُهُ كساءٌ ، ذليلٌ وأتباعه أعزاءٌ ، مسكينٌ وموالوه مَكِينُونَ".

إني أود أن أختتم هذه المقدمة بأبيات شعر للإمام توضح الحال الذي يُجِبُّ أن يرى مرديه عليها ، إذ يقول رضي الله عنه:

الحُبُّ أَظْهَرَ أَهْلِيهِ عَنِ النَّاسِ فَلَا يُرَى فِيهِمْ سَاهٍ وَلَا نَاسِي
إِلَّا أَخُو ثِقَةٍ مُسْتَبْصِرٍ يَقِنُ مَوْلَهُ رَاسِخٌ فِي عِلْمِهِ رَاسِي

في الحان مولده طفلا ومنشأه
 يُنبئكَ مَظْهَرُهُ عن كُنْهِ مَخْبَرِهِ
 بين الرفاق مُطِيعَ الكاسِ والطاسِ
 عن النديم ولا يلهو عن الكاسِ
 سَهْلُ الخَلَاتِقِ من خمر الهوي حاسي
 حَالِ الصُّحَاةِ وهذا أعظمُ الناسِ
 أظاعه سُكْرُهُ حتى تَمَكَّنَ مِنْ

القصيدة السابقة تدعوك ، كما يدعو الشيخُ أهلَ الإختصاص من المتصوفة الموفقين ، الي الثبات في وضع الحركة ، والي الصحو في حال السكر ، إلي التمسك بالشرع وأنت في أشد الاستغراق والوجد ، أن تكون في حالة الإثبات وأنت في عالم الحو ، أن تكون في خلوة وأنت في وسط الناس ، أن تمت نفسك وأنت حيٌّ ترزق ، وان تملك فتزهد وتترك فلا تملك ، أن تتقلب على جمر المحبة بلا ألم وتقول هل من مزيد، ومع كل هذا لا تري لنفسك مزية على من هو مثلك في آدميتك ، كل ذلك في الله وباللّٰه ومن اللّٰه وإلي اللّٰه.

فلعل حديث العهد بالتصوف يفتن الي الرمزية في الشعر السابق للشيخ ، ولعلنا نعلم أن دعوته تقوم على التمسك بالشرعية الغراء والاستغراق في محبة الله حتى يتسع القلب لكل الجودات ، ويعظمها لِمُوجِدِهَا سبحانه وليس لشأنها هي فقط ، فهل نحن مقتدون؟ فلعلنا ولعلنا ولعلنا.

والله أسأل أن يتقبل وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وفي مرضاته ورضاه، وأن يُعِينَ على إكمال المهمة ، والله المستعان ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

د. سعد عبد العزيز أحمد غنيم وأولاده
 القاهرة في 22 ذو القعدة عام 1432 هجرية ،
 الموافق 19 أكتوبر عام 2011 ميلادية.

الحمدُ لله تمجيداً لذاته المُستَحِقَّةِ الحمد ، والصلاةُ والسلامُ على نبيه ورسوله
الكريم محمدٍ ، صاحبِ لواءِ الحمدِ ، وعلى آله وأصحابه الثابتين على العهدِ ،
والموفين بالوعدِ .

أما بعد

أي سادة : ذرأتُ الحادثاتُ مَحْكُومَةً لسلطانِ الخالقيةِ ، ومنها العالمُ
الإنساني ، فهو مرؤوسٌ مقدورٌ لذلك السلطان الرباني ، وهو في قبضته ، وكل
فردٍ منه مملوكٌ لبارئهِ ، عبدٌ له سبحانه وتعالى ، حرٌّ بالنسبة إلى غير البارئِ
تعلت قدرته ، والناسُ في مرتبة المملوكية ومنزلة العبدية له سبحانه سَوَاءً ، فكلما
صحت نسبة العبد إلى سيده ، جَلَّتْ عَظْمَتُهُ ، ارتفع في مقام عبديته عن إخوانه
في نوعه وعلا عليهم ، حتى إذا صار له من السلطان الإلهي معنى ترأس به ، لا
بنفسه ، على غيره ، وَسِعَةُ أَمْرِ رِياسته هي بنسبة المعنى الحاصل له من قُدُسِ بارئهِ
جلَّ وعلا ، هؤلاء المرسلون في النبيين أعلا منهم مرتبةً وأوسعُ رِياسةً ، هؤلاء
أولو العزم من المرسلين أرفعُ مقاماً وأعظُمُ¹ أمراً ، هذا سيدُ أولي العزم نبينا البرُّ
الرحيمُ صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين ، فهو في أولي العزم أعظُمُ مكانةً
وأشملُ دعوةً وأوسعُ دائرةً وأتمُّ حُكْمًا وأبلغُ حجةً وأمنعُ سلطاناً ، لِمَا حصل له
من جليل المعنى القدسي فوق غيره من إخوانه النبيين والمرسلين ، صلوات الله
عليه وعليهم أجمعين .

وعلى هذا ، فالأمرُ النافذُ القائمُ المُحكَّمُ في عوالم الإنسان هو الأمرُ الإلهيُّ ،
والقائمون به بالتقليد الرباني : الأنبياء والمرسلون ، وعنهم العلماءُ باللهِ حكماءُ
الدينِ ، الذين هم ورثة الأنبياءِ ، وزمَامُهُ بيد نائبِ النبوةِ في كل عهدٍ وزمنٍ ، به

¹ في بعض النسخ "أعم" .

يَصُولُ وَيَجُولُ ، ويفعلُ ويقولُ ، وتخضعُ له الفحولُ ، وله الرياسةُ العامةُ في مقامِ
النيابةِ المحضةِ الجامعةِ ، وبعده فالقومُ أربابُ البصائرِ ، المدرجون في ذيلِ العلمِ
بحالِ النبوةِ وسرِّ الخلقِ ، وَحُكْمِ الخَالِقِيَّةِ ، فلهم كلُّ بنسبةِ حصتهِ رياسةٌ على
من دونه من إخوانه ، يُعَلِّمُهُمْ يُزَكِّيهِمْ ، يُرْفِقُ بِهِمْ لتعليمهم ، يُغَلِّظُ عَلَيْهِمْ
لتأديبهم ، يسوقهم إلى بساطِ العلمِ وحضرةِ الفهمِ ، لينقذهم من وهدةِ الجهلِ ،
من أسْرِ الإنحطاطِ عن هذا السرِّ ، ليخرجهم من الظلماتِ إلى النورِ ، من ظلماتِ
سَفَلِ الطبعِ ، ودناءةِ الهمةِ ، وَقَصْرِ النظرِ ، وَسِقَمِ الغايةِ ، إلى نورِ شرفِ الطبعِ ،
وعلوِ الهمةِ ، وصحةِ النظرِ ، وجيليلِ الغايةِ ، فَيُقَوِّمُ اعْوَجَاجَهُمْ ، وَيُصَلِّحُ
احديدهم ، فتذهبُ طَمَّةُ فشلهم ، وتنطمسُ ثورةُ ذلَّتِهِمْ ، العزةُ لله ولرسوله
وللمؤمنين.

لا تزعم أي أخوا الحجاب أن أذاك الإنسان الآخر عَبْدُكَ بِدُرِّيهِمَاتِكَ ،
بوقتِكَ ، بحظِّكَ ، بشأنِكَ ، بما أنت فيه من أمرِكَ ، هو فوق ذلك ، وأنت دون
ذلك.

كلُّ من ساواكَ بتركيبِ الهيكلِ ، أو ماثلَكَ بالصورةِ والنسقِ ، فهو أحوك
بجنسيتِكَ ، شريكِكَ بآدميتِكَ ، لا هو مملوككَ ، ولا أنت مالِكُهُ ، وكل من
خالفَكَ بتركيبِكَ ، فهو مُلْحَقٌ بجنسه حَقْرٌ أو عَظْمٌ ، وأنت مُلْحَقٌ بجنسِكَ ،
فاعرفِ حَدَّكَ ، ولا تَبْقَ وحدكَ.

حاجتِكَ مُلْزَمَةٌ لكَ ، وحاكمةٌ عليك بالانضمامِ إلى أبناءِ جنسِكَ ،
والاستئناسِ بهم ، وقاضيةٌ على طبعِكَ بالأدبِ مع صنوفِ أجناسِ الأشياءِ ، من
ذواتِ أرواحٍ وجماداتٍ بارزاتٍ ومطوياتٍ ، عُلوِيَاتٍ وَسُفْلِيَّاتٍ ، فاجمع رأيكَ
على العلمِ باللهِ ، لِتَعْلُوَ في مرتبةِ آدميتِكَ بين جنسِكَ ، وَلِتَزْكُوَ في نفسك ، ولا
تكن قليلِ العِبْرَةِ ، حاملِ الهمةِ ، قصيرِ النظرِ ، أنظرِ حُكْمَ رَبِّكَ ، سِرَّ بروحكِ ،

سَيَّرَ هِمَّتَكَ فِي مُلْكِهِ سُبْحَانَهُ ، اعْتَبِرْ بِمُصْنُوعَاتِهِ ، قَالَ تَعَالَى : (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) .

اسْتَرْقَّ أَمْرُهُ أَقْوَامًا ، هُمْ لَوْلَا أَنْ اسْتَرْقَّهَمْ أَمْرُهُ أَحْرَارٌ ، خَالَفُوهُ فَأَوْقَعَهُمْ فِي وَهْدَةِ الرَّقِّ ، اسْتَعْبَدَهُمْ عَصِيَانَهُمْ ، أَذْهَمَ طُغْيَانَهُمْ ، فَخَذَ بِهِمَّتِكَ الْعَلِيَّةِ طَرِيقَ الْإِسْتِسْلَامِ لَهُ مَحْجَةً ، وَسَرَّ إِلَيْهِ أَمِينًا مِنْ غَيْرِهِ ، لَا تَقْلُ قَدْرُهُ أَوْقَفَنِي عَنِ السَّيْرِ إِلَيْهِ ، هَذَا مِنْ بَطَالَتِكَ ، مِنْ كَسَلِ عِزْمِكَ ، وَفَتُورِ عِزْمَتِكَ .

اجْعَلْ الْقَضَاءَ وَالْقَدْرَ صَفًّا ، وَابْعَثْ مَعَهُمَا قَلْبَكَ وَيَقِينَتَكَ وَاعْتِقَادَكَ ، وَاجْعَلْ الْعَقْلَ وَالتَّدْبِيرَ صَفًّا وَابْعَثْ مَعَهُمَا رَأْيَكَ وَحَزْمَكَ وَأَمْلِكَ بِرَبِّكَ وَاعْتِمَادَكَ ، وَأَقِمْ بَيْنَ الصَّفِينِ حَرْبَ الْعَمَلِ ، وَكُنْ أَنْتَ فِي صَفِّ الْعَقْلِ وَالتَّدْبِيرِ الْمُؤَيَّدِ بِمُحْسِنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ ، وَبِصَدَقِ الْاعْتِمَادِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ ، فَإِذَا انْكَشَفَ غُبَارُ ذَلِكَ الْحَرْبِ عَنْ غَلْبَةِ لَكَ فِي أَمْرِكَ ، فَقَدْ أَثْمَرَ غِصْنُ أَمْلِكَ بِرَبِّكَ ، وَحَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ ، وَصَدَقَ اعْتِمَادُكَ عَلَيْهِ ، فَفَزْتَ بِمَطْلُوبِكَ ، وَإِنْ انْكَشَفَ الْغُبَارُ عَنْ مَغْلُوبِيَّةِ لَكَ فِي شَأْنِكَ ، فَقَدْ انْكَشَفَ لَكَ غِطَاءُ الْقَدْرِ ، وَأَنْتَ حَيْثُ تَدَّ مَعْدُورٌ ، وَسَعِيكَ مُشْكُورٌ ، وَعَمَلُكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَخَاصَّةً عِبَادَهُ مَبْرُورٌ .

اللَّهُ اللَّهُ بِكَ ، أَوْصِيكَ بِكَ أَيُّهَا الْعَاقِلُ ، فَإِنَّكَ خِزَانَةٌ مِنْ خِزَائِنِ الرَّحْمَنِ ، عَظِيمٌ عِنْدَ مَنْ صَوَّرَكَ إِنْ عَظَّمْتَ ذَاتَكَ وَعَرَفْتَ شَرَفَهَا ، قَدْ امْتَاذَكَ رَبُّكَ بِالْعَقْلِ ، وَرَفَعَ بِهِ دَرَجَتَكَ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ ، وَأَعْطَاكَ لِسَانًا يَقْذِفُ دُرَرَ الْحِكْمَةِ إِلَى سَامِعِيهِ ، فَيَخْتَلِبُ بِهَا قُلُوبَهُمْ وَيَشْغَلُ أَلْبَابَهُمْ وَيَعْقِدُ هِمَمَهُمْ وَيُوقِفُهُمْ عِنْدَ حُدُودِهِمْ وَيَجْمَعُهُمْ عَلَى صَعِيدِ الْقِصْدِ ، فَلَا تَسْتَصْغِرُ شَرَفَ الْكَلَامِ ، وَتَهْمَلُ مَرْتَبَتَهُ الَّتِي هِيَ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ الْمُتَدَلِّيَةِ مِنَ الْعُلَا ، تَدْنِيًّا إِلَى الْعَالَمِ الْأَدْنَى .

هذه (أ.ب.ت.ث.ج.ح.خ.د.ذ.ر.ز.س.ش.ص.ض.ط.ظ.ع.غ.ف.ق.ك.ل.م.ن.هـ.و.لا.ي) هي حروفُ التهجي ورابطةُ نظم الكلام ، وكتابُ الله المُنزَّلُ على آدم عليه السلام، والكلامُ سيفُ الله الذي يجمع به ويُفرِّق ، ويُعْضُّ به ويُجَبِّبُ، ويفعلُ به العجائبَ ، تَصْلُحُ به القلوبُ ، ترتبطُ به الأسرارُ ، تَلِينُ بسببه الخواطرُ، تَحْصُلُ به الألفةُ والمودَّةُ ، تُشَقُّ به العصا ، تنحدرُ من موجته سيولُ الفتنِ ، تنطلقُ بسَيَّالٍ مَحْدَرِهِ عوائثُ عُثاءِ الحن، تنشطُ بهمة أساليبه الهممُ ، ترتفعُ بنهضته العزائمُ إلى حضرةِ القُربِ ، تنحدرُ بجاذبيته² المواهبُ إلى حظيرةِ القلبِ ، وراءَهُ السيفُ المسلطُ ، إذ هو مَحْبَبٌ في طيه ، يُلقَى هو أولاً ويقوم له السيفُ ثانياً فهو من آلاته ، من مواده ، يعمل له ، لِيَرْجِعَ النظمُ إليه.

كلمةٌ يقولها القائلُ وهو كافرٌ زنديقٌ فيقفُ بها في صفِ المؤمنين الموقنين.
وكلمةٌ يقولها القائلُ وهو مؤمنٌ وثيقٌ فيقفُ بها في صفِ الكافرين الجاحدين.
بيعتك أيها اللبيبُ على اسمِ ربك ، بعهدك على طريقِ نبيك ، تتصدر في محاضرِ القدس ، هي كلمة قلتها ، ووقفت عندها ، فَدَخَلَتْ في القومِ الذين أَلْزَمَهُمْ (كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا).

الكلامُ الذي ينطقُ به لسانك ويأتي بِمُرَكَّبِهِ فَمُكَّ ، آيةُ قلبك ، خزانةُ سِرِّكَ ، مجموعُ شرائفِ عَيْنَيْتِكَ ، موادُ صفاتِكَ ، نظمُ كَلِيَّاتِ ذاتِكَ ، أفرغتَ كُلَّكَ فيه ، بعد أن خرج من فيك كُتِبَ عنك ، بل كَتَبَكَ على الرقاع ، نَقَلَ عَنْكَ ، بل نَقَلَكَ إلى الأسماع ، أطافك في الأفواه والصحاف ، أقامك في المجالس والدواوين ، أثبتك في العيون والقلوب.

² في بعض النسخ "جاذبته".

كُنْ شَرِيفَ الْكَلِمَةِ ، شَرِيفَ الْهِمَّةِ ، أَمَا الْحِكْمَةُ ، لَا تُمِطُ نِقَابَ الْحِكْمَةِ بِالْوَهْمِ وَتَعْمَلُ كَالْفَيْلَسُوفِ الَّذِي جَرَدَ الْحِكْمَةَ عَنْ شَرَفِهَا ، إِذْ كَسَاهَا بِاسْمِ الْفَلَسَفَةِ غَيْرَ كِسْوَتِهَا.

أَجَلْ ، كُنْ حَكِيمًا وَأَنْطِقْ بِالْحِكْمَةِ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّفَلِّسَ فَإِنَّ مِنْهُ طُرُقٌ وَهَمٌّ تَدْفَعُ إِلَى غَيْرِ سَبِيلِ الصَّوَابِ.

لَتَوْسَعُ لَطَائِفَ الْخِيَالِ فِي مَجَالَاتِ التَّنْفِيزِ وَالتَّطَرُّقِ بِمَا لَا يَقِفُ بِهِ الْعَقْلُ ، طَلِبًا لَزَبْدَةِ الْمَطْلَبِ ، وَالْقَصْدُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ حَسَنٌ ، وَلَكِنْ جَرَّدَ كَلَامَ الْفَيْلَسُوفِ لِلْسَامِعِ مِنْ كَلِمَةِ الْحَقِّ بَاطِلُ نَفْسِ الْمُتَكَلِّمِ ، قَصَدَ بِالْمَجْرَدِ عَنِ الْحِكْمَةِ ، وَجَرَّدَ كَلَامَ مَنْ ظَنَّ بِهِ الْخَيْرَ مِنْ كَلِمَةِ الْبَاطِلِ حَقُّ حُسْنِ الظَّنِّ ، فَرَبَطَهُ حَسَنُ الظَّنِّ بِمَذْرُوتِهِ ، فَيَالَيْتَ الْفَيْلَسُوفَ طَمَسَ بَاطِلَ نَفْسِهِ ، وَلَزِمَ الْحِكْمَةَ فَقَامَ لَهَا ، وَقَالَ بِهَا ، وَنَفَعَ النَّاسَ ، وَلَيْتَ مَنْ ظَنَّ بِهِ الْخَيْرَ مَحَقَّ بَاطِلُهُ فَأَخَذَ بِجِبِلِ الْحِكْمَةِ ، وَغَسَلَ صَحِيفَةَ سِرِّهِ مِنْ زُورِهِ وَبُهْتَانِهِ ، وَتَمَسَكَ بِأَذْيَالِ الْحُكَمَاءِ فَانْتَفَعَ بِهِمْ ، وَنَفَعَ بِعَلْمِهِمُ النَّاسَ.

وَمِنَ الْعَجَائِبِ ، فَقَدْ يَفْجُرُ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ ، وَيَصُونُ سِرَّ الْحِكْمَةِ ، فَيُؤَيِّدُ اللَّهَ بِهِ أَمْرَهُ ، وَيُعِزُّ بِهِ جَنْدَهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ : قُمْ يَا بِلَالُ فَأَذِّنْ : أَنْ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، إِنْ اللَّهُ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ.

مَاذَا يَفْعَلُ الْعَاقِلُ بِحِلْسِ الْبَيْتِ ، مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ انْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُمُ بِالِدَعْوَى ، وَلَا أَثَرَ لَهُمْ فِي الدِّينِ؟

قال جابر رضي الله عنه: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية: أنتم خير أهل الأرض، وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنتُ أبصرُ اليوم لأريتكم مكان الشجرة، يريد بالشجرة الشجرة التي بايعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحتها، المعنية بقول الله تعالى (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)، فانظر أيها الأخ اللبيب كيف صححت الخيرية لألف وأربعمائة رجل إذ ذاك، دون أهل الأرض شرقها وغربها، هل كان ذلك إلا لأنهم تجردوا بأنفسهم وأموالهم لإعلاء كلمة الله تعالى وإعزاز دينه؟ وعلى ذلك بايعوا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين.

وهل الدين إلا كلمة صادقة وهمة عالية؟ تسقط هممة الرجل الماجد الكريم على كل شريفة، وتسقط هممة الخبّ الديني على كل ساقطة، وربُّ الشبهة يتطرقُ الشبهة، والخير لا يظن إلا خيراً، ولا تثبُّ به همته إلا إلى المعالي، وعلو الهمة من الإيمان، والساقطُ الوضيع يريدُ الترفعَ بهمته، فتغلبه نفسه، فترفعَ بنزعها³، وتنداعى همته ساقطة بطبعها، ويرى لخباله بمرآة خياله أن ترفعَ نفسه بنزعها عن الهمة، ثكلته أمه، ما فرّق بين الوقاحة والرجاحة، هل تستوي الظلمات والنور؟

الهمة ترفعُ العبدَ إلى مقام السر والنجوى. هممة العارف بربه، الحكيم بنوره، أرفع من العرش، هات، أي أسير الدعوى، طورَ هممتك، وقسسه على أطوار أهل الهمم، واحكم إن كنت من المؤمنين، إن كنت من الصادقين.

³ في بعض النسخ "بنزعها".

إِسْحَاقُ بِرَحَى الْحِكْمَةِ دَقِيقُ شَعِيرٍ مُخَيَّلَتِكَ ، لِيَنْسِفَ عَنْكَ دَقِيقًا تَسْفُوهُ
الرياح ، وَإِذَا فَاسْتَنْقَ لَطْبَعَكَ بُرًّا نَقِيًّا مِنْ زَرْعِ الْحُكَمَاءِ ، أَعْيَانِ السَّلَفِ ،
وَرَأَتْ نَبِيَّ الْهُدَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

قال عليه أفضل الصلاة وأشرف السلام، يأتي على الناس زمانٌ يغزو فثام من
الناس ، فيقال : هل فيكم من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فيقالُ
نعم ، فيُفْتَحُ عليه ، ثم يأتي زمانٌ فيقالُ : فيكم من صحب أصحاب النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ؟ فيقالُ : نعم ، فيُفْتَحُ ، ثم يأتي زمانٌ فيقالُ : فيكم من
صحاب صاحب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فيقال : نعم ، فيُفْتَحُ .

هذا التحكمُ سرُّ الوراثةِ المحمديةِ ، وسنتُهُ صلى الله عليه وآله وسلم قائمةٌ ،
وحكمتهُ دائمةٌ ، فلا تكن أيها الأخ الصالحُ محروماً من غنيمة سنته ، ممنوعاً بهمِّ
وأهميتك عن مائدة حكمته ، فأنت إن أحييت سنَّةً من سننه ، أو بثت حكمة
من حِكْمِهِ ، فالفوز لك والبشرى المستمرة ، لأنك صرت من حزبه ، ودخلت
في عداد خير أهل الأرض خاصيته ، وكنت معه غداً وهو يقولُ من حديث :
رباطُ يومٍ في سبيلِ الله خيرٌ من الدنيا وما عليها . رابطُ في سبيلِ الله بمالك ،
بنفسك ، بعلمك ، بعملك ، بحكمتك ، بهمتك . الشريف من بني فاطمة ،
عليها السلام ، قيدهُ الشرعُ لإعلان علو الهمة له عن أكل الصدقة ، قال النبي
عليه الصلاة والسلام لأحد سبطيه الكريمين ، أما علمت أن آل محمدٍ لا يأكلون
الصدقةَ .

وأهل الحضرةِ الإلهيةِ يعملون بعمل آل محمدٍ ، ويحثون الناس على العمل
بعملهم ، تترفع هممهم عن البطالة والكسل ، ترفعهم النخوة والغارةُ الفعالةُ

والمروءة المحمدية إلى شقِّ غبارِ الأكوانِ ، وخوضِ معامعِ الوجوداتِ ، كُلُّ ذلكِ لله ولرسوله وإِعلاءِ كلمةِ الله في ملكِ الله ، بِحِكْمِ قَاهِرَةٍ ، وهمِ زَاهِرَةٍ ، جمعت بين أمرِي الدنيا والآخرة ، وكذلك الموفقون والمقربون والمحبون ، وأولئك هم المفلحون ، بل وأولياءُ الله المقبولون: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

أَخَذَ اللَّهُ الْعَهْدَ عَلَى رُوحِ أُحْيَمَدٍ ، العبد اللاش ، أن لا تقف عند سَفَاسِيفِ الأمورِ ، أَلَا مَنْ عَلَتْ فِي اللَّهِ هِمَّتُهُ عَلَتْ عِنْدَ اللَّهِ مَرْتَبَتُهُ ، وَمَنْ وَقَفَ مَعَ غَرَضِهِ مَا عُوْفِي مِنْ مَرَضِهِ ، ومن لم يصرع صنوفِ الحادثاتِ بِكَفِّ الطَّرْفِ عنها ارتياحا لِمُوجِدِهَا وانبساطاً به ، فهو عن حلاوة الإيمان وعن مذاق شرابِ الهمة بمعزل.

ولا يَخْطَفَنَّكَ حَتَّى لَكَ عَلَى عُلُوِّ الْهَمَةِ أَنْ تُهْمَلَ الْعِلْمَ بِحَالِ الضعفاءِ والفقراءِ ، وَحِرْفِهِمْ وصنائعهم ، وما هم عليه من عاداتهم وأمرِ معاشهم ، فإن العلم بذلك والعمل به ، والتَّحَقُّقُ بـكـلـه ، والوقوف على سره والترقي فيه إلى ما لا غاية له ، إلا الشرعُ ، إنما هو من علو الهمة ومن بوارق أسرار النبوة.

هؤلاء الأنبياءُ العظامُ ، عليهم الصلاة والسلام ، كلهم رَعَوْا الغنمَ ومنهم نبينا سيد العرب والعجم ، لَتَطْرُقَ طَرَائِقَ الأممِ والعلم بأحوال طوائفهم ، ولِلْإِقْتِدَارِ على سياسة عوالمهم ، وللتدرب بالرفق ومسالكة ، حتى بشأن الحيوانات غير الناطقة ، بل وللتسلق إلى نسجِ حِذْرِ الهمة ، بالرفق العام في حق كلِّ بارزٍ وطامسٍ عينيٍّ وغيبٍ ، ليكون ذلك السيدَ رحمةً عامَّةً على خلقِ الله ، وبحراً فياضاً عذباً هنيئاً مريئاً يَسُحُّ على مُلْكِ الله ، وهذا طريقُ الوراثِ الذين أثابهم الله الفتحَ ،

وأوصلهم بجمال الرُّسُلِ وجعلهم نواباً عنهم ، وجمع عليهم أمرهم ، وحَقَّقَهُمْ بالتخلق بأخلاق دُرَّةِ قِلَادَةِ المرسلين ، وأكرمهم على رب العالمين ، سيدنا محمد النبي الأمين ، عليه وعليهم صلواتُ الْمَلِكِ الْبَرِّ الْمَعِينِ ، وهنالك يَقْدِرُ على إيضاح ما يلزمُ للخلق في أمرِ معادِهِم ومعاشِهِم ، وَيَكُونُ كَالغَيْثِ ، أين وقع نفع ، واللهُ وليُّ المتقين ، وإليه يرجع الأمر ، ومنه العون والنصر ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

شرف العقل بالإنصاف ، وإلا فهو مغلوبٌ لما تُبْرِزُهُ له النفسُ من غرارة الهوى ، **وشرفُ الفهم بالإذعان** ، وإلا فهو محكومٌ لطارق الرأي ، والدامغُ لباطلِ الحرصِ ، والأملُ حدُّ الحقِّ ، ومن أخذه باطله فتجاوز به حدَّ الحق فهو غدارٌ ، وأُمُّ هذه الآمالِ الكاذبة سَبْحَةُ خاطرٍ ، تَجُرُّ الفكرَ إلى استحضارِ لذةٍ تطيبُ لها النفسُ ، وتفرحُ بها الشهوةُ ، وتقفُ عندها العزيمةُ ، فهنالك يقوِّدُ الفكرُ العزمَ فيخوضَ معامعَ الأغراضِ .

لو طرَقَ طارقُ العزمِ بابَ السماءِ ولم تكن له آيةٌ علمٍ إلهيٍّ تجمَعُ به قوما على الله فَتَنَفَعَهُمْ في دينِهِم ودنياهم فليس بشيءٍ ، ومن لم يَعْرِ على المحبوبِ ، فلا يرضى أن يَسْلُكَ ذَمَّهُ في أُذُنِهِ ، فليس بمحبٍ ، ولا الصديق إذا لم يَعْرِ على صديقه حتى لا يرضى أن يسلك ذمَّهُ في أُذُنِهِ فليس بصديق .

والنخوةُ سلَّمُ العبدِ إلى سدرَةِ منتهى المجدِ وفيها من ثورةِ الغيرةِ لله أسُّ كريمٍ ، والاستقامةُ وصفٌ لا يشتملُ عليه إلا رداءُ كلِّ عظيمٍ ، والعارفُ المحضُ يستقل الدنيا فلا يراها إلا دون شراك نعله ، ويستعظمُ الأشياءَ لمُوجِدِهَا فلا يرى إهمالَ شيءٍ ، رداً بذلك الشيءِ إلى أصله .

هات ، اجمع يا حكيم بين هاتين ، وأنت إذا الرجلُ العظيمُ ، شُفَّ بباصرةِ علمك سيرة نبيك الأمين وآله الطاهرين ، وأصحابه الهداة المرضيين ، فتحوا البلاد ، وصانوا العباد ، ومهدوا السُّبُلَ ، وأفاضوا العدلَ ونظَّموا الأمورَ ، وأحكموا حِكْمَةَ سياسةِ الأممِ ، وهم أزهَّدُ الناسِ بالدنيا وأعراضها ، وأبعدهم عنها وعن أغراضها.

سِرِّ بين الحائطين: حائط العمل ، وحائط التسليم ، ورُحْ إلى عالمِ جَمْعِكَ بِفَرَقِكَ ، ولا تجمع بين حَدِّكَ وَقِدَمِ رَبِّكَ ، فإنك إن فعلت ذلك انخرطت في الضالين.

اجمع بِفَرَقِكَ بين علمك وأمره ، بين عملك ورضاه ، بين طلبك وكرمه ، وأنت حينئذ من الصالحين.

لا تنم على حِلْسِ حَالِكَ ، غير مترفع إلى حالٍ فوقه ، فإن من تساوى يومه فهو مغبون.

ما أطيبُ السيرِ في الله إلى الله ، إنا لله وإنا إليه راجعون.

كن في موعظتك حكيمًا ، (وَلَا تَكُنْ لِلنَّخَاتَيْنِ خَصِيمًا) واعمل بعلمك إذا كفاك للعمل ، ولا تقف في العلم عند غاية ، فإن غايته فوق عمرك ، أطلبوا العِلْمَ من المهدي إلى اللحد (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ).

ارفع نظرك إلى المعالي بدينك ، إلى المعالي بنبيك ، إلى المعالي برّبك ، لا تَضَعْ عزيزَ نظرك على تراب الضَّعةِ فترْبُضْ على كلِّ قتبٍ ، تلك سيمةُ البَطَّالين ، وتدرِّعُ بدركِ علم الصحابة ، وانتسق بنسق حال الآل الكرام ، عليهم جميعاً الرضوان والسلام ، وهنالك لا يُطْغِيكَ حالٌ ، ولا يُزيغُ شأنٌ ، وَصَفَّ نَفْسَكَ وإن بَعَدَ المدى عليك بصفهم، يُدْخِلُكَ فيهم تحقُّقك بأحوالهم ، ويحققك بهم تخلُّقك بأخلاقهم ، (مَنْ غَشَّنَا لَيْسَ مِنَّا) وعلى هذا ، فمن لم يغشنا فهو منَّا ، قُرْبَ المدى أو بَعَدَ ، هذا في الأمرين وعلى الحالين.

شَارِقَةُ فجرِ النورِ المحمدي طالعةٌ لا تغيب أبداً ، إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وهو خيرُ الوارثين ، فمن كَلَّفَ نفسه خدمةَ ذلك الجنابِ ، بإحياءِ سنته وإعلاءِ أمره فقد فاز وله أجر مائة شهيد ، يؤيد ما أقول قوله عليه الصلاة والسلام : (مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ).

قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : (مؤمنٌ يجاهدُ في سبيلِ الله بنفسه وماله) قالوا ثم من؟ قال (مؤمنٌ في شَعْبٍ من الشعب يتقي الله ويدعُ الناسَ من شرِّه).

أفهمت أيها الأخُ الصالحُ وأدركت أن نبيك سِرُّ سرارةِ الأزلِ ، ونورُ باصرةِ الأبدِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فرَّقَ الناسَ ، فقسّمهم إلى ثلاثة أقسام : رجلٌ نافعٌ يجاهدُ في الله بنفسه وماله، ورجلٌ يتقي الله ويعتزل الناس لكي لا يضرهم، ورجلٌ إن لم يكن أحدُ الرجلين ، فهو ، حمانا الله وإياك، مُضِرٌّ ، وهو

هالكٌ ، هذا ما تضمنه كلامُ صاحبِ جوامعِ الكَلِمِ ، وأفضلُ الثلاثة ، المجاهد في سبيلِ الله بنفسه وماله .

تهدات عيسُ هِمَمِ الموقنين إلى طلب الحق بالجهاد في سبيله ، وإن ذلك لعلی طرق وأقسام : منه جهادٌ باللسان ، ومنه جهادٌ باليد ، ومنه جهادٌ بالمال ، ومنه جهادٌ بالعزم ، ومنه جهادٌ بالعزيمة ، وكلها تؤول إلى الله ، يشملها قوله تعالى ، **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)** ، وأشرفهم الجامعون .

وإنَّ نَظَرَ السُّلْطَةِ ليحكمُ على الطباع من طرقٍ شتى : حق ، وباطل ، ووهم ، وغير ذلك ، فلا تكن بعملك أسير قيدِ نظرِ السُّلْطَةِ ، متى حَضَرَ عَمِلْتَ ، ومتى غاب بَطَلْتَ ، تلك شائبةُ الرياء ، شائبةُ الأمل ، شائبةُ الخوف ، اطرحتها عنك بعزمك ، واخلعها متجرداً إلى ربك .

ما أدنى همة مَنْ قَيَّدَهُ النَظْرُ بِعَمَلِهِ ، وأفلتته غيبته ⁴ عن العمل .
أيُّ شنشنةٍ في الهمةِ الرفيعةِ ، وأي نعمة لها في آذان الحادثات ومدارج ترقى السر في عوالم الغيب والحضور ، تترفع بنسبة ما يُفَاضُ لها من نورِ العقلِ ، والتوفيقُ بيد الله تعالى .

حار أهلُ الأبصارِ والبصائرِ بما وراء هذه الستائر ، والحيرةُ عجزٌ حاكمٌ على كل ذى عقلٍ بالإيمان المحض والوقوف على جادة السلامة ، **(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)** وهذا كتابه تعالى الحجّةُ القائمةُ ، والمعجزةُ الدائمةُ ، وفيه جميع الحِكَمِ ، خَفِيَّهَا وجليُّهَا ، كُلِّيَّهَا وجزئيُّهَا ؛ عَرَفَهَا العارفُ فرأى من آيات ربه الكبرى ،

⁴ في بعض النسخ "عييته" .

ولهذا السرِّ الأعظم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه).

آياتٌ بيناتٌ ، وكلماتٌ جامعاتٌ ، وأسرارٌ إلهياتٌ ، وعلومٌ ربانياتٌ ، طويت في منشور هذا الكتاب القويم ، والكلام القديم : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) ، هنالك جنودُ اللهِ الجوّالَةِ ، بُحورُ اللهِ السيّالةِ ، سحائبُ اللهِ الهطّالةِ ، سيوفُ اللهِ الفعّالةِ.

(الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

خذْ أنموذجَ القُدرةِ ، وحالَ العلمِ ، وشأنَ الحُكمِ ، وسلطانَ الأمرِ ، من هذا الكتابِ الكريمِ ، الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، يثقلُ على مَنْ قَيْده طبعُه وغلبه هواه وقهرته نفسه فأوهمته أنه فوق جنسه ، إياك ونزغُ الشيطانِ فإنه يُسوّلُ لك ويُوهِمُك أنك فوق غيرك ، اتق الله بالآدميين ، قال ربك سبحانه لأشرفهم وأعظمهم : (قل إنما أنا بشر مثلكم) ، وضربَ له حَدَرَ الفوقية بسُلطان (يُوحَى إِلَيْي) ، والوحيُّ به خُتم ، وبعده انقطع ، والمثليةُ في كلنا قائمةٌ باقيةٌ معنا ، لا تُختم ولا تنقطع ما دام الآدميون.

ها هو (في أيِّ صورةٍ ما شاءَ رَبُّكَ) خذْ حصّةَ الأدبِ ، وسهمَ العِبَرَةِ من تركيبك ، رَبُّكَ من أجزاءِ نوعك الكثيرةِ المقطعةِ المركبةِ ، فأقامك كما أنت ، فصن أجزاءك من خبثٍ إختيارك.

لا تُعْطِ أُذُنَكَ طَرِيقَ السَّيْرِ إِلَى سَمَاعِ الكَذِبِ وَالزُّورِ وَفحشِ الكَلَامِ ، ولا تَبْعَثْ عَيْنَكَ إِلَى النِّظَرِ بِمَا لا يَجِلُّ ، ولا تَجْعَلُهَا تَسْتَحْسِنُ الفَانِيَاتِ ، فَتَسْوِقَ طَبْعَكَ إِلَى حَسَدِ هَذَا ، وَاسْتِعْظَامِ هَذَا ، وَاسْتِكْثَارِ هَذَا.

وَلَا تُسَيِّرْ رِجْلَكَ فِيمَا لَا يُرْضَى رَبِّكَ ، وَلَا تُنْطِقُ لِسَانَكَ إِلَّا بِخَيْرٍ ، وَلَا تُمَدِّ يَدَكَ إِلَّا إِلَى خَالِقِكَ فِيمَا يُؤْوِلُ إِلَى مَرَاضِيهِ ، وَصُنْ بَطْنَكَ وَظَهْرَكَ وَمَا سَتَّرْتَ عَنْ كُلِّ مَا يَوْقَعُ فِي وَهْدَةِ السُّؤَالِ وَالخِزْيِ.

وَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ ، وَاذكُرْهُ فِي الشَّدَةِ وَالرِّخَاءِ ، وَكُنْ مَعَهُ فِي الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ ، فِي بَابِهِ فِي السَّقَمِ وَالْعَافِيَةِ ، وَلَا يَدْفَعَنَّكَ الْمَرَضُ وَالسَّقَمُ عَنِ الرِّبْوِ بِبَابِهِ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:
(مِثْلُ الْمُؤْمِنِ كَمِثْلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا⁵ ، فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكْفَأُ بِالْبَلَاءِ ، وَالْفَاجِرُ كَالْأَرْزَةِ صَمَاءٍ مَعْتَدِلَةٍ حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ).

فَإِهْجُ بِالْوَصْفِ الدَّالِ عَلَى إِيمَانِكَ ، وَافْرَحْ بِرَبِّكَ وَبِمَا يَجِيءُ مِنْهُ ، إِيمَانًا بِهِ وَرَكُونًا إِلَيْهِ ، وَارْضَ عَنْهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِكَ ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ غَالِبٌ رِضَاهُ عَلَى سَخَطِهِ فِي كُلِّ أَمْرِهِ ، وَالْأَحْمَقُ غَالِبٌ سَخَطُهُ عَلَى رِضَاهُ فِي كُلِّ أَمْرِهِ ، وَكَذَلِكَ فَالرِّفِيقُ الْمُتَعَتِّبُ الْمُتَسَخِّطُ لَا يُرَافِقُ ، وَالرِّفِيقُ الرَّاضِي الْحَمُولُ لَا يُفَارِقُ⁶.

⁵ فِي بَعْضِ النُّسخِ "كَفَتْهَا"

⁶ فِي بَعْضِ النُّسخِ "لَا يَرِافِقُ" ، وَالْمَعْنَى لَا يَسْتَقِيمُ

والنفس يطيبُ لها كُلَّ حالٍ يأخذُ بها إلى الهدأة وجمع الحال ، وحضورَ الهِمَّةِ كيف كانت ، وَيَصْنَعُ عَلَيْهَا كُلَّ حالٍ يجرُّها إلى الاستفزاز بطارق التسخط ، وَيُورِدُهَا حوضَ شتاتِ جَمْعِهَا ، ويغلبُ حضورها.

وانتصبَ لمعاشرة الآدميين على قدمي الصبر ، فالبدن له رأسٌ واحدٌ ، فلا تجمع رأيك على أن تجعل كل عضو في البدن رأساً ، وقل لمن لم يتحقق بنسبة خلقه في حكم الرأسية : كن ذنباً ولا تكن رأساً ، فإن الضربة أول ما تقع في الرأس ، وارفع هِمَّةً من تَنَزَّلَ بِحَمُولِهِ عن حق خَلْقِهِ ، كأن خُلِقَ يداً فوقَ رجلاً ، أو خُلِقَ رِجْلاً فَانْدَلَسَ وَرِكْماً ، ولا ترى لك الخيرية على غيرك بعلمك ، بعملك ، فإن ذلك من التجرؤ على الموجدِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ . قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضلٍ ورحمةٍ ، فسددوا وقاربوا ، ولا يتمنين أحدكم الموت ، إما مُحْسِنًا فلعله أن يزداد خيراً ، وإما مَسِيئًا فلعله أن يستعذب).

والعتبي التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي أن يطلب العبدُ رضاءَ رَبِّهِ بالتوبة ، والرجوعَ إِلَيْهِ ، وهو أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ .

ولتكن أيها الأخُ الصالحُ كثير الأدب مع خلق الله تعالى ، كثير الرحمة والشفقة على والديك أمك وأبيك وَصُولاً لرحمك ، متودداً لجيرانك ، ذا حنو عليهم ، رؤوفاً بالمؤمنين ، متحققاً بشأنهم بأخلاق نبيك عليه الصلاة والسلام فهو (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) وكذلك (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) .

وإذا أدخل عهدُ اللهِ في آلكَ من ليس منهم ، فارحمه كرحمتك لآلكَ ، عملاً بحال مُعَلِّمِكَ الذي زرع الخير في قلوب المسلمين صلى الله عليه وعلى آله.

قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما : (كان رسول الله صلى عليه وآله وسلم يأخذني فيقعدي على فخذه ، ويقعد الحسن على فخذه الآخر ، ثم يضمهما ، ثم يقول: اللهم ارحمهما فيني أرحمهما). وَكُنْتُ بَارَأً بِجَارِكَ ، فقد قال المصطفى عليه وعلى آله أكمل صلوات الله وأجل تسليماته (ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه).

وَلَتَعْرِفْ لَوْلِيَّ اللَّهِ حَقَّهُ بِالْكَفِّ عَنْهُ فِيمَا زَادَ عَنْ حَقِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(إن الله تبارك وتعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضته عليه ، وما يزالُ عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أُحِبَّته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأُعْطِيَنَّهُ ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته).

فخذ من هذا الحديث القدسي العِلْمَ بالوليِّ ، واعرف حقه ، ولا تَحُطَّ من قدره ، ولا تَعْلُجْ به ، وابتغِ الخير بسببه ، واتبعه ، وأنبِ إلى الله كما أناب ، وأكثر من قراءة القرآن وقت انشقاق الفجر ، فإن في ذلك الوقت معنىً من معاني حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ورضي الله عن ابن رواحة الصحابي الجليل فإنه قال يمدح سيد الممدوحين نبينا الأمين صلى عليه رب العالمين:

أنا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطعُ
 أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقعُ
 بيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجعُ

واركع ركعتي الفجر ، فقد قالت عائشةُ الصديقةُ رضي الله عنها: (لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على شيءٍ من النوافل أشد منه تعاهداً على ركعتي الفجر).

واحرص على فرائض الله ، وأدِّ حقَّ نبيك الكريم بالمحافظة على سنَّه ، وعظَّم ما عظَّم الله تعالى ، وكن شديداً في الله قال الله تعالى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ) .

وانفضَّ يديك من كل عارضٍ دون الحق ، ولا تميلْ إلى كل مُعْوَجِّ ، واسلك الطريق المستقيم ، وكُلَّ طريق رأيت فيه العويصاء التي تنكرها فدعه ، وانهج الطريق الذي تعرفه ، وحكِّم في كل قول وعمل شريعة نبيك السيد العظيم القدر صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا قلت فلا تقل إلا خيراً ، وإذا فعلت فلا تفعل إلا حقاً ، وإذا صحبت فلا تصحب إلا خيراً ، وإذا قمت وقعدت فلا تكن إلا نزيهاً نظيفاً.

ولا تعبد الله على حرفٍ ، أُعبد ربَّك ولا تشرك به شيئاً ، واجعل مَحَجَّتَكَ قولَ نبيك الذي هو أولى لك من نفسك ، وإذا ابتليت فامدِّدْ يَدَ الرجا إلى بارئك ،

واصبر لحكم ربك ، ولا تيأس من رَوْحِهِ فـ(إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ).

وانتظر فرج الله فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (انتظار أُمَّتِي فَرَجَ اللَّهِ عِبَادَةً) وقال عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام (إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ مِائَةَ أَلْفِ فَرَجٍ قَرِيبٍ).

وتعرضُ لنفحات ربك في كل طَرْفَةٍ ، وعظمُ الأشياءِ بِمُظْهِرِهَا سبحانه ، ما أعظم أسرارَ الله المطوية في عوالم خلقه ، أَلْفَ الأُمَمِ تعظيم عظمائهم ، وأَلْفَتِ كُلُّ أُمَّةٍ التشوف إلى حال عظماء الأمة الأخرى ، فإذا رأوهم ، وإن كانوا فوق عظمائهم أولي قوة وأولي بأس شديد ، حطت بهم أعينهم عن مراتبهم ، ورأوهم دون ما هم ، فتراهم يستعظمون ما لهم ، ويحطون على عاداتهم ، يتعجبون من كثرتهم ، ويسخرون منهم للباسهم ، وما ذلك إلا لقصر النظر عن استجماع شؤون الناس ، واستكناه حُكْمِ حالهم ، وحِكْمَةِ عاداتهم ، وشأن بلادهم وما هم عليه ، وَلِتَمَكَّنَ حال عظماء تلك الأمة وشأنها من قلوب الأمة ، ولانطباع النفوس على تلك العادات والمشارب ، والأمر كذلك في العقائد والمذاهب ، والعامل الحكيم لا يرى هذا ولا يقول به ، وإنما يَسْتَكْنَهُ الحَقَّ فيقفَ عنده ، يُحَسِّنُ ما حسنه الشرع لاستجماعه أشرف المحاسن ، وَيُقَبِّحُ ما قبحه الشرع لنزاهته عن القبائح ، ويضعُ كل شيء بميزان الحكمة ، فإن رَجَحَ استرجحه ، وإن خف استخفه ، وهو في الأمرين على منصة الأدب ، لا يهتك ستر الله المنسدل على مخلوقاته ، ويقول الحق ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، فكن أنت ذلك الرجل الحكيم الكريم ، وإذا مَسَّكَ من شيطانك نَزْعٌ فقاد طبعك إلى التجاوز والتعالي ، أو إلى البغي والعناد والمكابرة ، أو مدَّ لك في خاطرك بساطَ

الحسدِ فظلمت وأوقعت الأشياء في غير مواقعها ، فاستعد بالله من الشيطان الرحيم ، واذكر ربك ، وبذكرة الموت فهو بابُ المصير إليه ، والرجوع إلى حضرة أمره ، والسبيل إلى الوقوف بين يديه ، وتذكر هنالك سؤاله لك عن كل شيء ، ولا تنسى مضمون سر قوله تعالى (**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْنكُمْ رَقِيبًا**) ، وطفُ بقلبك في كل حضرة ، وخذ ما صفا ودع الكدر ، وليكن عملك صالحاً ليرفع إليه سبحانه ، (**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**) واجمع الناس عليه لا عليك ، خذهم إليه لا إليك ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

قف : هي دارُ عبرةٍ أيها الولدُ ، اعتبر بها وسر بكل ما فيها إلى الله ، وإياك أن يشغلك بارزٌ منها عن ربك ، وإياك والبطالة ، ما اقبح الصوفيُّ البطالُ ، يدعي الزهد وعينه في المال ويده ممدودة للسؤال .

ليس من الهمة أن يرى الرجلُ آخذاً ، بل الهمة أن يرى الرجلُ نفسه مُعطيًّا ، سفلُ اليد أصعبُ من قطعها ، احترف بما تصل إليه قوتك ، ويبلغه إمكانك ، أدنى حرفةٍ من الأعمال والصنائع فيها ، لو فقهت ، أشرفُ صفةٍ ، درج عليها أهلُ الهمم ، وهي الترفعُ عن نوالِ زيدٍ وعمرو ، ركونا إلى كرم الله سبحانه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ تَعَبًا فِي طَلَبِ الْحَلَالِ**) .

انسجوا وشي صنعاء وبز فارس وخرز إشبيلية بين سواربي أروقتكم بهذه القرية ، واجمعوا بين صنائع العرب والفرس والروم ، وتصدقوا من كسبكم علي إخوانكم حلالاً طيباً ، وآسوا وكلوا مما رزقكم الله قال الله تعالى (**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ**

الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) الطيباتُ لله ، إذا اكتسبتُ من حلالٍ وأُهْلِكَتُ في حلالٍ .

قال سيد أهل الهمم صلى الله عليه وآله وسلم (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ) .

أكره ما تراه العين، رجلٌ عليه سيما الزاهدين وهمته همة السائلين ، من طأطأ للنوال ورضي بالسؤال فهو أحس طبعاً من عَجَزَةِ النساء.

لا أقول هذا لِأُنْفِرَ القلوبَ من السائلين ، أدوا ما عليكم من حقوق الرحمة بخلق الله ، والتصدق على الفقراء لوجه الله ، هذا ما وجب عليكم ، ولا ينزغنكم الشيطان فتشتمتَ منهم نفوسكم فتُهينوهم وتروهم بعين الإحتقار، هذا إذا يكون من تسويل إبليس ودسائسه. ولكن أقولُ هذا لأرفعَ همَمَ إخواني طلاب الحق عن البطالة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ الْعَبْدَ الْبَطَالَ) .

رأيت خالي وسيدي الشيخ منصور ، سُحَّ على قبره هِطَالُ الرحمة ، وقد ردَّ هدايا بعض الفقراء ، فقلت له ما ⁷ في ذلك ؟ فقال : فيها شيءٌ مُجْتَمِعٌ من السؤال ، ولو كان عن خالص طريقٍ أبلجٍ لقبيلته ، يريد أن ذلك الشيء لو لم يكن مشوه الوجه بالسؤال ، وكان من حلالٍ طيبٍ ، كنت أقبله ، عملاً بالسنة المحمدية ، فإنه عليه الصلاة والسلام ردَّ الصدقة ، وقَبِلَ الهدية. هذا طريقُ القوم ، بلى إن القوم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

⁷ تم إضافة "ما" بالرغم من عدم وجودها في النسخ المتداولة ليستقيم السؤال.

قال الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله وعطر قبره ، لولده عبدالله بعد أن صحب العارف أبا حمزة البغدادي الصوفي ، طيب الله مضجعه ، يا ولدي : عليك بمجالسة هؤلاء القوم ، فإنهم زادوا علينا بكثرة العمل ، والمراقبة ، والخشية ، والزهد ، وعلو الهمة . رَحِمَهُ اللهُ ما أكثره إنصافاً ، قد وصف القوم بما هم أهلُه ، وهذه الصفاتُ التي يجبها اللهُ تعالى من عباده .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الله تعالى كريمٌ يحبُّ الكرمَ ، ويُحِبُّ معالي الأخلاق ، ويكره سفاسفها) ، وقال وهو الصادق الأمين : (ازهدْ في الدنيا يحبك اللهُ ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس).

وليس الزهدُ أن تختط لك كُوةً في الجبل وتلبسَ الحشنَ وتأكلَ الحشنَ ، وإنما الزهدُ أن تنفض يديك من الدنيا ، فلا ترفعها إلى قلبك ولو ملكتها بحذافيرها ، وإنَّ علامةَ الزهدِ قولُ الحقِّ ، لأنَّ كلبَ الدنيا يخاف على جيفته فيسكت عن قولِ الحقِّ ويوافق أهلَ الباطل ، والزاهدُ بها لا يخاف على شيء منها فيقول الحقَّ ، وينصر اللهُ الحقَّ بأهلِ الحقِّ ، ومتى أغصت الأمة على الباطل وتركوه على حاله ، فقد نادوا على أنفسهم بالخزبي والشتات .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ ، أَنْ تَقُولَ إِنَّكَ ظَالِمٌ ، فَقَدْ تُودِّعُ مِنْهُمْ) ، وبرواية أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ فِيهَا لِلضَّعِيفِ حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ) وهل يؤخذ إلا إذا قال قومُ الحقِّ وانتصروا له؟ هذه سنةُ اللهِ في عباده .

حَكِيمٌ أَضَاءَ قَلْبَهُ بِقَابَسَةِ نُورِ النُّبُوَّةِ ، يَفْعَلُ مَا لَا يَفْعَلُهُ الْعَسْكَرُ الْجَرَارُ ، (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) وكلمة تَفْتُقُ رِثْقًا ، وتُحْيِي حَقًّا ، وترفع جُدْرَانًا ، وَتَشِيدُ بُنْيَانًا ، والأمرُ كذلك ، الجهلُ ظلمةٌ ، والعلمُ نورٌ ، وإلى الله تصيرُ الأمورُ.

اجتمعوا ، أي إخواني ، قلوبكم على محبة بعضكم ، على أولياء أموركم ، اصبروا على أمرائكم ، لا تخرجوا على سلطانكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شيراً مات ميتة جاهلية) ، وبرواية عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : (دعانا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبايعناه ، فقال فيما أخذ علينا : أن بايعنا على السمع والطاعة ، في منشطنا ومكرهنا ، وعُسْرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفراً بواحاً ، عندكم من الله فيه برهان).

هذه أوامرُ نبيكم الصادق الأمين ، حبيبِ ربِّ العالمين ، فيها لكم هدىً وبركةٌ ، وأمنٌ وأمانٌ ، تمسكوا بها ولن تضلوا أبداً.

عاملوا أهلكم ونساءكم وأولادكم ومواليكم بالرفق واللين ، ولا تغلظوا عليهم إلا فيما يؤول إلى دين الله ، احفظوا لهم نظام مروءاتهم ، فإن المروءة من الإيمان ، سيروا بأهلكم في حكم معيشتكم السيرة الوسطى ، لا ضيقٍ مُضجرٍ ، ولا وسعٍ مُبَطِّرٍ ، قفوا بين الحالين، نحن الأمة الوسط ، اجمعوا أمركم في معاشكم عن أن تبسطوا الأيدي فتتكف بالضييق ، اجعلوا على مقياسكم وطءكم وغطاءكم ، احشوشنوا فإن النعم لا تدوم ، خذوا عن الشره وحب الثوب

والمائدة جانباً ، استغنوا عن الكلّ بالجزء⁸ ، علّموا أولادكم وعيالكم الأدبَ الديني ، اطبعوا فيهم لوازم المروءة ، قيّدوا ألسنتهم إلا عن كلام شريف ، قيّدوا ذهائبهم وإياهم إلا إلى محضرٍ شريف.

يروى عن عليّ الكرار أمير المؤمنين عليه السلام شعراً ، منه :

يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءَ
وَلِلشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ مَقَائِسٌ وَأَشْبَاهُ

والمراء بقريته يُعرفُ شأنُ تمكينه ، فقارنوا المهذّبين أهل القلوب الطاهرة ، والأخلاق الشريفة ، لا تنظروا لفقيرهم وذلّهم ومسكنتهم بنظر الإحتقار ، فكم لله من سيفٍ مغمّدٍ في قرابٍ رثٍ خَلِقِ.

إني أُسرُّ بأربعة أشياء إذا نزلت بأصحابي⁹ ، وأفرح لهم بها ، وأسأل الله تعالى لهم الصبر عليها : الجوع ، والعُرْي ، والذلة ، والمسكنة ، وهذه شعار الفقراء ، ولكن كيف هي لو عرفتم: جوعٌ في شبعٍ ، وعُرْيٌ في اكتساءٍ ، وذِلَّةٌ في عزّةٍ ، ومسكنةٌ في مُكْنَة.

جائعٌ وضيّفائهُ شباغٌ ، عارٍ وقصّادهُ كساءٌ ، ذليلٌ وأتباعه أعزاءٌ ، مسكينٌ وموالمه مكينونٌ ، كذلك عمر بن الخطاب الفاروق الجليل وأمثاله ، رضي الله

⁸ هذا في حوائج الدنيا كما يظهر من سياق الكلام.

⁹ في بعض النسخ "بأصحاب".

عنهم ، علي المرتضى عليه السلام ، جاع بعد أن كنس بيت المال في الله ، مسكينُ الله في محرابه ، وهو أسد الله يوم الحراب ، ذليلٌ لأمرِ الله وهو الليثُ الغالبُ.

شرفُ الأكاسرة في إخلاص الزاهدين ، مُكَنَّةُ القياصرة في مسكنة الخاشعين ، وإذا كانت ذلة قلب للرب المعز ، وتجردُ وجودٍ للموجد الحق ، وإجاعة كبدٍ للمشيع الكريم ، ومسكنة حالٍ للقدير النصير ، الذي يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، فما هي إلا طرازُ حالٍ فيه أنموذج عن شأن النبيين والمرسلين ، عليهم صلوات رب العالمين ، والصبر عليها منحةٌ من منحِ الله تعالت أسماؤه وجلُّ ثناؤه.

قال بعضهم : عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى أزهد من أويس القرني عليه رضوان الله ورحمته ، لأنَّ عمرَ جاءته فهرب منها وتركها ، وأويسَ لم تأته ، ولكنه زهد فما طلبها ، اللهم نسألك علماً بك ، وإيماناً بما جاء من عندك ، وتوكلاً عليك ، وانتصاراً لك .

أي سادة : الطرقُ إلى الله تعالى عددُ أنفاسِ الخلائق ، وإني لم أر اقرب وأوضح ، وأيسر وأصلح ، وأرجى من طريق الدلِّ والإنكسارِ والخضوعِ والإفتقارِ.

إذا أراد الله العبدَ لأمرٍ هيأه له ، وهيأه للأمر الذي أراده له ، وما وصل المقربون إلى محل الكشف والمشاهدة إلا بترك الإختيار ، وكثرة التواضع والإنكسارِ وطاعة الملك الجبارِ ، ولقمة الحرام تحجب الدعوة أن تُستجابَ.

والفتوةُ كلُّ الفتوةِ الصفحُ عن عثراتِ الإخوانِ ، وأن لا يرى الرجلُ له فضلاً على غيره.

والتصوفُ قهذيبُ أخلاقٍ ، وشرفُ طباعٍ ، وعلوُ هممةٍ ، فمن حسنت أخلاقه ، وشرفتُ طباعه ، وعلت همته ، فهو الصوفي ، وإلا فلا.

والإخوانُ أغصانُ تضمهم شجرةٌ ، وهي المرشد ، ومن شد عنهم فقد انقطع.

إذا اجتمعتم على الطعام تناصفوا ، وتواسوا فيما بينكم ، ولا يقصدُ أحدكم أن يغلب الآخر ، فإنَّ الغالبَ في ذلك مغلوبٌ ، وإن المؤثرَ ممدوحٌ مثابٌ محبوبٌ ، وإن الأكلَ دليلٌ على شرفِ الهمةِ وعكسه ، وأخو الشرِّه لا يكون شريفِ الهمةِ ، وإنما يكون حريصاً نهماً ، فعليه أن لا يُظهِرَ عيبه في كل ما يظهر منه للناس ، وأن يظهر ساحة قلبه من كل عيب له لا يَطَّلِعُ عليه إلا اللهُ ، من لم يكن له داعية من نفسه لم تنفعه داعية غيره ، (أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

للتصوف خصالٌ محمودةٌ ، أولها تجريدُ التوحيدِ ، ثم الإيثارُ ، ثم إيثارُ الإيثارِ ، ثم حسنُ العِشْرَةِ ، ثم فهمُ السماعِ ، ثم تركُ الإختيارِ ، ثم سرعةُ الوجدِ ، ثم الكشفُ عن الخواطرِ ، ثم كثرةُ الصمتِ إلا فيما يؤولُ إلى الله ، ثم تركُ رؤيا الاكتسابِ ، ثم تحريمُ ادخارِ ما يكتسبه.

وعلامَةُ الْفَقِيرِ الصَّادِقِ فِي جَمِيعِ الْحَرَكَاتِ التَّقْلِيلُ¹⁰ مِنَ الْمَبَاحَاتِ ، وَالصَّمَمُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَسْمُوعَاتِ ، وَأَنْ لَا يَطْلُبَ الْمَعْبُودَ¹¹ حَتَّى يَبْذُلَ الْمَجْهُودَ وَالْمَوْجُودَ ، وَانْقِطَاعِ الْحِيلَةِ حَتَّى لَا يَرَى فِي أَحْوَالِهِ وَشِدَّتِهِ وَرِخَائِهِ وَتَقَلُّبِهِ غَيْرَ خَالِقِهِ وَمُكُونِهِ ، وَإِنَّ الْفَقِيرَ مَتَى نَظَرَ إِلَى مَا يَلْبَسُ ، التَّبَسَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ ، وَمَتَى مَا رَأَى الْخَلْقَ مِنْ دُونِهِ ظَهَرَتْ عَيْبُوهُ ، الْفَقِيرُ ابْنُ وَقْتِهِ ، يَرَى كُلَّ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِهِ أَعَزَّ مِنَ الْكِبْرِيَةِ الْأَحْمَرِ ، يُودِعُ لِكُلِّ سَاعَةٍ مَا يَصْلِحُ لَهَا وَلَا يُضَيِّعُ شَيْئًا ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُخَزِّنَ لِسَانَهُ عَنِ نَطْقِهِ ، وَلَا يَطْلُقَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، فَإِذَا نَطَقَ يَنْطِقُ بِعِلْمٍ ، وَإِذَا صَمَتَ يَصْمِتُ بِحِلْمٍ ، وَلَا يُعَجِّلُ بِالْجَوَابِ ، وَلَا يَهْجُمُ عَلَى الْخُطَابِ وَإِذَا رَأَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ أَنْصَتَ لِاسْتِمَاعِ الْفَائِدَةِ ، يَحْذَرُ مِنَ الْخَطَا ، وَيَحْتَرِزُ مِنَ الْغَلْطِ وَالزَّلَلِ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْلَمُ ، وَلَا يَنْظُرُ فِيمَا لَا يَفْهَمُ .

وَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَأْمَرَ نَفْسَهُ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ ائْتَمَرَتْ بِأَمْرِ النَّاسِ ، وَيَنْهَى نَفْسَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِنْ ائْتَمَرَتْ بِنَهْيِ النَّاسِ ، وَإِلَّا فَيَصِيرُ هَدَفًا لِسَهَامِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) ، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) .

إِذَا طَابَتْ أَنْفُسُكُمْ لِلْحِكْمَةِ ، فَارْفَعُوا بِهَا خَوَاطِرَكُمْ إِلَى حِكْمَةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَإِلَى كَلَامِ رَبِّكُمْ جَلَّ وَعَلَا ، فَإِنْ طَابَتْ خَوَاطِرُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَتَنَوَّرَتْ بِكَلَامِ اللَّهِ ، فَهِيَ عَلَى هُدًى ، وَإِنْ لَمْ تَطْبُ بِالْحِكْمَةِ النَّبَوِيَّةِ وَتَشْرَفَ بِنُورِ الْقُرْآنِ فَهِيَ ضَلِيلَةٌ الشَّيْطَانِ ، فَتَوَبُوا ، وَاسْتَغْفِرُوا ، وَأَقْلَعُوا ، بِالْإِنَابَةِ إِلَى رَبِّكُمْ ، فَرُبَّ عِلْمٍ ثَمَرَتَهُ جَهْلٌ ، وَرُبَّ جَهْلٍ

¹⁰ فِي بَعْضِ النُّسخِ "التَّقْلِيلُ" .

¹¹ فِي بَعْضِ النُّسخِ "المَعْدُومُ" .

ثمرته علم ، كل علم أنتج دعوى التفوق به ، فثمرته جهلٌ بحتٌ ، الله تعالى يقول
(وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا).

يمكن أن تكون أعلم من أخيك بنحوك وهو أعلم منك بصيره ، أعلم منه بفقهك
وهو أعلم منك بعمله ، أعلم منه بفلسفتك وهو أعلم منك بطريق حكمته ،
أعلم منه بخلافك وهو أعلم منك بحقيقته ، أعلم منه بلغتك وهو أعلم منك
بخلقك ، أعلم منه بتفسيرك وهو أعلم منك بذوقه ، أعلم منه بجديتك وهو أعلم
منك بصدقه ، أعلم منه ببيانك وهو أعلم منك بحاله ، أعلم منه بشعرِكَ وهو
أعلم منك بإخلاصه .

الفنون النوعية في العصابة الإنسانية لا تنتهى ، والفنون العلمية متناهية بالنسبة
للمدوّن ، فمتى قابلت المدوّنَ النوعي ، رأيت أنك لو بلغت الغاية في كل مدوّنٍ
أنت قاصرٌ فيما لا يُحصَى من النوعي ، هذا نوع الانسان قال فيه ربك سبحانه
(عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) جاء في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وآله
وسلم : (رُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ).

توسّع إذا حققت ، وحقق إذا دقت ، ولا تكن في سيرك إلى ربك كحمار
الرحى غايته مبتداه ، اقطع عقبات الوجود بعلمك ، بفهمك ، بعقلك ،
بنظرك ، باستدلالك .

سَفَّهُ قومٌ طريقَ الاعتبارِ لغلبةِ الطبعِ فانحجوا بظلماتِ الهوى وكثافةِ الضلال ،
وسَفَّهُوا أهلَ النظرِ الصحيحِ جهلاً منهم ، أولئك (هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا
يَعْلَمُونَ).

بَادِرٌ ، أَي أُخَيٌّ ، إِلَى مَا لَا بُدَّ لَهُ ، وَتَرَفَّعَ إِلَى فَضْلِ تُذَكَّرُ بِهِ فِي مَحَافِلِ قَوْمِكَ ،
وَيُثْنَى عَلَيْكَ بِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى عِنْدَ رَبِّكَ ، لِتَصِيرَ حَمِيدَ السَّيْرَةِ فِي الْمَلَائِكِينَ ،
مَمْدُوحَ الْخِصَالِ فِي الْعَالَمِينَ.

الرجل من تظهر آثاره بعده ، اجتهد¹² أن تُبْقِيَ الأثرَ بعد العَيْنِ واجعله طيباً
مُرَضِيّاً ، الْحَقُّ مُكَوَّرٌ تَحْتَ الضَّلُوعِ ، تُوقِنُ بِهِ أَنْفُسُ الْحَاسِدِينَ ، وَتَعْتَرِفُ بِهِ قُلُوبُ
الْجَاهِدِينَ ، وَحَسْبُكَ أَنْ تَقَرَّ لِحَقِّكَ أَنْفُسُ حُسَّادِكَ وَلَوْ انْعَقَدَتْ عَنِ النُّطْقِ بِهِ
أَلْسِنَتُهُمْ ، وَأَنْ تَعْتَرِفَ بِهِ لَكَ قُلُوبُ جَاهِدِيكَ وَلَوْ صَرَفَهُمْ عَنِ التَّفَوُّهِ بِهِ
جُحُودَهُمْ ، هَذَا شَرَفُ الْحَقِّ فَلِيَفْتَحِرْ الْمُحِقُّ ، وَلِيَبْتَهَجْ¹³ أَهْلُ الْحَقِّ.

رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ وَقَدْ مَلَأَ نُورُهُ عَوَالِمَ
اللَّهِ تَعَالَى كُلِّهَا ، فَقُلْتُ : الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رُوحَ الْعَوَالِمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ فَقُلْتُ : يَا حَبِيبِي عَلَّمَنِي أَشْرَفَ
الْعُلُومِ ، فَقَالَ : (هُوَ الْوُقُوفُ عِنْدَ الْحَقِّ (وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ) وَحَسْبُكَ) ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ ، سَيِّدِ أَهْلِ الْحَقِّ ، النَّاصِرِ
الْحَقِّ بِالْحَقِّ ، مُحَمَّدٍ أَكْرَمِ عِبِيدِكَ ، وَأَشْرَفِ عِبَادِكَ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ ،
اللَّهُمَّ أَرْشِدْنَا بِهِ لِلْحَقِّ ، وَاجْعَلْنَا بِبِرْكَتِهِ مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِ الْحَقِّ (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا).

¹² في بعض النسخ "اجهد".

¹³ في بعض النسخ "وليتهج".

يا أهل دوائر الحق في حضرات الحق ، قولوا الحق أين كنتم ، وحيث وجدتم ، امحقوا الباطل بحقكم ، افتحوا مقل الآدميين بميل الحق ، ليتنبهوا من سِنَّةِ غفلاتهم بكم ، قال الله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (لَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ).

يا فقيهه لا تصر مغلوباً لفقهاءك ، فيغلب علمك عقلك ، فتغلو وتطيش وتخرف¹⁴ ، اجعلك وفقهك وكل ما بلغه علمك للحق ، صير منصفاً لتنفع الناس وتنفع نفسك ، طهر قلبك بذكر ربك ، املأه بالخوف منه تعالى ليصلح ، إن القلب إذا صلح صار مهبط الأسرار والأنوار والملائكة ، وإذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين ، وإذا صلح أخبرك عما أمامك ووراءك ، ونبهك عن أمور لم تكن لتعلمها بشيء دونه ، وإذا فسد حدثك بأباطيل يغيب معها الرشد وينتفي السعد ، فيا طوبى لمن أصلح الله قلبه .

أشرك الخلق كلهم في منفعتك ، فإن أحب الخلق إلى الله أنفعهم للخلق ، وصر مادة نفع ، فكل من لم ينفع في الدنيا لم ينفع في الآخرة.

صحح اليقين بإشارات الصالحين ، وزك نفسك بفقهاءك ، فإن النفس على ثلاثة أضرب :

نفس أمارة بالسوء : وهي نفس الجاهلين والعاصين .

ونفس لوامة : وهي نفس المؤمن ، تسرُّه حسنته ، وتسوؤه سيئته .

¹⁴ في بعض النسخ "فتغلو وتطيش وتخرف".

ونفس مطمئنة¹⁵ : وهي نفس الموقنين العارفين المنقطعين إليه ، فإن من عرف الله حق معرفته، قطعه إليه بكليته.

قل لأرباب الغفلة : مجالسنا مجالس الأحران والمآتم ، لأن الفقير لا يزال متأسفاً على ما فاته من الفضائل ، يرجو الحق ويخافه ، فإن سمع شيئاً يشير إلى المفاصلة خاف ، وإن سمع شيئاً يشير إلى المواصلة رجا ، وإن دُعِيَ أجاب ، وإن سمع رداً بكى وهاب ، تسيّر به الفطنة في هذه المجالس لاقتناص شوارد الحكمة ، حتى يصير من أهلها ، قال الله تعالى : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا).

أفيضوا نفعكم على الخلق كلهم ، فإن المؤمن كُله بركة ورحمة ونفع أينما كان، تعاونوا على مصالح دينكم ودنياكم ، يد الله مع الجماعة ، قال الله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى). وإياكم والتعاون على ظلم الخلق وشهوات النفوس، قال الله تعالى : (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) ، شرف الأمة بالتعاون على مصلحة الدنيا والدين .

التجربة السارية بحكم الوضع الأصلي في النوع الآدمي تقول هلك المتفرقون ، اعرفوا حق العصائب الزكية في الأمة ، حطهم الزمان أو رفعهم ، أضعفهم ، أو قوّاهم¹⁵ . لذوي البيوتات في قلوب العامة سلاسل تهزها بحال ما يصل إليها .

لا تهدموا شرفات بيوت مجدكم بخسة الطباع وسوء الحال ، فإن أول بانٍ للمجد رتب عليكم حقوقاً ، أعزّها حفظ مجده من بعده ، لا تقصّر هممكم عن أن

¹⁵ في بعض النسخ " أضعفهم أو أقواهم".

يتصدر كل واحدٍ منكم فيبيّ مجدّاً ثانياً فوق المجد الأول ، هذا سيدُ أهل المجد ، وأمجدهم وأعظمهم عند الله والناس ، مولانا ووسيلتنا إلى ربنا ، وسيدنا محمد رسول الهدى صلى الله عليه وآله وسلم، بنى للمسلمين بيتَ مجدٍ إلهي ديني ودنيوي ، جمع بين شرفي المادة والمعنى ، وَوَقَّعَ بين عزمي الآخرة والأولى ، فانظروا كيف تَخْلُفُوهُ في حفظ مجد هذا الدين المتين ، والكتاب المبين ، ابدلوا لإعلاء كلمة مجده الرباني المحمدي الأموال والأنفسَ ، قفوا عند حده ، لا تنحطوا عن هذه الرتبة السعيدة ، فإن الانحطاط عنها مخالفةٌ ، والله تعالى يقول : **(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**.

إذا رأيتم المنتصر لنبيّه فانصروه ، وأعزوا كلمته ، فإنّ في ذلك من النفع في دينكم ودنياكم ما يقصر عنه وصف الواصف ، ويكِلُّ عنه لسان المُعبّر.

ما أخطّ همة مَنْ عارض رجلاً يسعى لإصلاح شأن الدّين منتصراً للنبيّ الأمين صلى الله عليه وآله وسلم ، أفّ له ، لا عقل له ، قامت هذه الحجّة على كلّ آدمي ، ووجب عليه الانتصار لكلمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ لو فقهه ، علّم أنه هو الذي شاد منار العدل ، وأوضح المحجّة ، وأقام الحجّة ، وأوقع الطمأنينة في القلوب ، وكفّ بشرعه الكريم أيديّ الناس عن الناس ، ومهدّ بنيان الأمن والإيمان ، وقاتل لله على كلمة الله ، ليُذيع سِرَّ عدلِ الله في ملك الله ، وليُفرغ حُكْمَ أمانِ الله في خلق الله ، وهو الذي ساوى بشرعه بين الأمير والمأمور ، والقوي والضعيف ، والغني والفقير ، والصغير والكبير ، والشريف والمشروف ، وكلهم عنده في الله سواء.

وهو الذي هدم قواعد البغي ، ومحق أساس الجور ، وبدد أركان الظلم ، وبسط بساط الراحة والبركة ، وصان الحق وحى أهله ، وأقعد الناس على صعيد واحد، وأرتعهم في بجوحة الأمان من طوارق وعتاء النفوس الباغية ، والطباع المتسلطة العادية ، ودل على الله ، وأرشد إلى الله ، وهذب الأخلاق ، وذَكَرَ بالله ، وربط القلوب بجبل الله ، وعقدها على محبة الله ، وفتك وأحسن ، وقطع ووصل ، وكلُّ فعَّاله لله ، إعزازاً لدين الله ، وإنقاذاً لخلق الله من وهدة العيوب القاطعة عن الله ، فهو أمينُ الله على خلق الله في بلاد الله إلى أن يُحشَرَ الخلق إلى الله ، والأمر يومئذ لله ، فمن أراد الله به خيراً فقَّهه في الدين ، ودلَّه على هذا الطريق الأمين ، فهجر المكابرة والعناد ، وتمسك بجبل الهدى والسداد ، وأخذ كلمة الحق باباً ، فدخل بها منها إلى حضرة أمان الله ، مؤمناً بالله ، وبكتاب الله ، وبكل ما جاء من عند الله ، إلى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أيُّ شريعة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهم إخوانه ، جاءت بمثل شريعته ؟ وأيُّ طريقة للمرسلين ، وهم عياله ، وفَتَّ بمثل طريقته ؟ امتازهم الله على الناس فأعزهم بالنبوة والرسالة ، وامتازه الله على جميعهم فأيده الله مع النبوة والرسالة بالحكمة والبيان ، وعلو الهمة ، وشدة العزم ، قيل له : **(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُوا الْعَزْمِ)** علماً أزلياً بأنَّ حُكْمَ قابلية ذاته يقوم¹⁶ صبرهم كُلِّهِمْ ، فالعارف من كان عاقلاً، والعاقل من كان حكيماً ، والحكيم من كان مسلماً، وإلا فالعارف إذا لم يكن عاقلاً فهو مُشَوَّشٌ¹⁷ ، والعاقل إذا لم يكن حكيماً فهو مُخَلِّطٌ ، والحكيم إذا لم يكن مسلماً فهو واهمٌ.

¹⁶ في بعض النسخ "يقدم".

¹⁷ في بعض النسخ "موسوس".

الإسلامُ روحُ الحكمةِ قال اللهُ تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) ، أتى الإسلامُ بالبرهانِ القاطعِ والحُكْمِ الصَّادِعِ ، فَعَقَدَ العُقُولَ على الحقِّ بالحقِّ ، وأَوْقَفَهَا أن تجمع شأنها على ما لا حقيقة له من قولٍ وعملٍ يُحيطُ العقلُ ، ولكن هاتِ العقلَ الكاملَ وأَحِطْ به الإسلامُ ، وخذه على مفكرتك ، وتدبره بَعْدُ بعينِ فقهك وبصيرتك ، تجده نوراً في قلبك ، وحالاً في عزمك ، وبركة في سيرك ، وطمأنينة في خاطرِك ، وقوة في عزيمةِك ، ورياضة في طبعك ، وعصمة في أمرِك ، وبيانا في لسانك ، وشرفاً في صفاتك ، وعزاً في طورك ، ومجداً في سلوكك ، وزيادة في نخوتك ، وحصناً في معيشتك ، وركناً في همتك ، وأماناً في آخرتك ، وربحاً في دنياك .

وإذا لم يفقه عقلك من الإسلام ، بعد أن يُعْمَلِ الإحاطةَ به ، هذه الأسرار الباهرة ، فأتهم عقلك ، فإنه ما أحاط به ولا فهم فقهه ، ولا وصل إلى سيره ، قامت لربي به الحجة قال اللهُ تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) أَخَذَتْ به قابلياتُ الطباعِ حُطُوظَهَا في دائرة لا تعدوا ، لحكمةٍ ، لا تنحرف عن الصواب¹⁸ ، قال اللهُ تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) ، صفت مناهله ، وطابت مشاربه .

عجبا للجاهل يكتسي بكسوة العيِّاق ، فيرى الآخر مكتسباً بكسوة التجار فيسقطُ من عينه ، وذاك يرى الآخر مكتسباً بكسوة الجُنْدِ فيسقطُ من عينه ، وذاك يرى الآخر مكتسباً بكسوة الفقراء فيسقطُ من عينه ، وهَلُمَّ جراً .

¹⁸ في بعض النسخ " في دائرة لا تعد ، لحكمةٍ لا تنحرف عن الصواب".

يا مَنْ عَقَلَ عَقْلَهُ بِعِقَالِ الْكَسَاوِيِ الْمَجْرَدَةِ ، خُذْ الْحِكْمَةَ أَيْنَ وَجَدْتَهَا ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَصْدَرِهَا ، انْطَمِسْ عَنِ الْمَصْدَرِ وَخُذْهَا ، وَمَنْ أَيْ مَحَلِّ صَدْرَتْ فَلْتَصْدُرْ ، هِيَ الْقَصْدُ وَفِيهَا الْمَطْلُوبُ ، وَلَا تُتْبِعِ الْحَبْلَ الدَّلْوَ ، أَوْ قِفْ الْأُمُورَ عِنْدَ حُدُودِهَا ، نَقِّ نَظْرَكَ حَتَّى يَرَى الْحِكْمَ ، وَيَنْصَرِفَ عَنِ مَصَادِرِهَا وَمَوَارِدِهَا .

كُنْ عَالِمًا بِمَا لَكَ وَمَا عَلَيْكَ ، وَأَرْجِعْ نَظْرَكَ إِلَيْكَ ، تَفَكَّرْ بِعَوَالِمِ اللَّهِ تَعَالَى ، عَالِمُ الْمَاءِ فِي كُلِّ جَرْعَةٍ مِنْهُ مِنَ الْعَوَالِمِ الْعَجَائِبِ ، عَالِمُ الْهَوَاءِ فِي كُلِّ شَمَّةٍ مِنْهُ مِنَ الْعَوَالِمِ الْغَرَائِبِ .

نَشَرَ الْبَارِي الْمَقِيمُ أَسْرَارَ رَبُوبِيَّتِهِ الْبَاهِرَةِ وَعَظَمَتِهِ الْقَاهِرَةِ ، وَعَجَائِبَ سُلْطَنَتِهِ الْقَادِرَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَقَالَ لَكَ اعْتَبِرْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بِنَصِّ : (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) فَإِنْ أَدْرَكَتْ حُكْمَ الْعِبْرَةِ فِي الْفِكْرَةِ ، وَوَصَلَتْ إِلَى سِرِّهَا الْمَطْوِيِّ وَعَالِمِهَا الْمَخْفِيِّ ، وَوَقَفَتْ عَنِ الْغَفْلَةِ ، وَسَرَتْ مَعَ الْحَذَاقَةِ ، وَجَمَعَتْ عَلَيْكَ حَالِكَ ، فَقَدْ فُزْتَ فَوْزًا عَظِيمًا : (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) (اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

هَذَا نِظَامٌ خَاصٌ لِأَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ ، يَهْدِي اللَّهُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ، وَالْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ ، لَهُ الْحُكْمُ ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ .